OPEN ACCESS
Al-Qamar
ISSN (Online): 2664-4398
ISSN (Print): 2664-438X
www.alqamarjournal.com

الرواية البوليسية في الأدب العربي "رواية اللص والكلاب أنموذجاً"

Detective Novel in Arabic Literature "The thief and the dogs" as Model

Dr. Khushbakhat Alia
Visiting Faculty Member, The Women University, Multan
Dr. Lubna Farah
Assistant Professor Translation & Interpretation, NUML, Islamabad

Abstract

The crime fiction, has a very long history, detectives can be found in ancient texts from around the world. The reasons behind these texts is common global desire for justice to be done. Crime Fiction in Arab world was not so popular, it fail to engage the writers and readers. Najib Mahfouz detective novel "The thief and the dogs", published in 1962, is often held to be the first detective novel, Mahfouz provided the model for later literary investigators writer, the Novel is one of the few and simple attempts at mysteries and crime novels in the Egypt. This paper traces diachronically the emergence of this popular genre at an entirely non-canonical level, in Egypt in particular, and examines its thematic characteristics, the paper will uncover the what comes to the mind of the writer during writing "Al-Liss and Al-Kilab". It further claims that Arabic detective literature is one of the most important literary strata in modern Arab literature, through which we can clearly discern changes in values and esthetics in modern Arab society, and examine the relations between money and ruling power in Egypt as a mirror of the entire Arab world and the connection between literature and crime. The study *concluded* that Najib Mahfuz was a writer who is concerned with society, religions and religious personality. *The*

CC BY

results shown that not a lot of books and academic research is found on crime fiction in Arab world. It is argued that the "detective" is an imported literary stereotype, unfamiliar to both Arab writers and readers.

Keywords: Detective writings, crime fiction in Arabic, Detective Fiction, Mahfouz-influence

المقدمة

يعتبر الأدب البوليسي والرواية البوليسية والخيال التجسسي والفانتاستيك ضمن الأدب الهامشي، وهذا الأدب لم تعترف به المؤسسة الرسمية للنقد لما يمتاز من ضوابط وآراء فكرية والايديولوجية. وتعتبر الرواية الجديدة بذلك صنف أدبي جديد في مراحل تطور والنضج، تعمل الرواية البوليسية وراوية الخيال منطلقات جديدة تختلف عن الأدب القديم وتشق طريق جديد في الأدب حيث تسعى لحل اللغز، وأن حل اللغز او المشكلة هي اكتشاف المجرم ويعود للواقعية الصارمة، وأحداثها دائماً تسير في طريق منطقي عند ارتكاب الجريمة ثم الكشف عن المجرم والمرتكب.ركزت الدراسة على دراسة الجريمة في الأدب العربي، والعوامل التي أدت لظهور هذا الصنف في الأدب، وعلاقة نشوء الجريمة والإنحراف السلوكي. وراوية الجريمة تطرح المشلكة وتبلورها في المجتمع ، لأن المجتمع يتكون من الأشخاص وحياتهم. والأدب العربي يفتقر في العصر الحديث لهذا النوع الأدبي الذي يهتم بالجرائم وتأليف قصص تدور حول القضايا الاجرامية، في حين أن الأدب الأوروبي لديه مدرسة مستقل بهذا الصنف.اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة حيث حللت الرواية واستخدمت منهج تحليل المضمون للنص الروائي.

مشكلة وأسئلة الدراسة

يعتبر الأدب البوليسي مؤثراً في تكوين الرأي العام، وبما أن الجريمة أضحت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع وظاهرة منتشرة وجب علينا أن لا نغفل عن هذا النوع لأجل مكافحة الجريمة والوقاية منها. الأدب العربي تناول قضايا الجريمة بشكل محدود، وتغافل عن طرح العلاج والوقاية. فإن مشكلة الدراسة تكمن في الإجابة على السؤال: هل الرواية العربية سلطت الضوء على واقع الجريمة في العالم العربي؟كيف تتطرق الرواية لعوامل داخلية وعوامل اجتماعية في تفسير الانحراف والجريمة؟

أهمية الدراسة

بما أن الرواية هي إنعكاس للمجتمع ومرآة للسلوكيات فالإنتاج الروائي يرسم لنا صورة المجتمع لذا الراوي يكتب عن القضايا التي يعيشها المجتمع ويتأثر منها. وتكمن أهمية دراسة الرواية البوليسية في كشف الجريمة والانحراف بالمجتمع ومعرفة الأسباب التي تؤدي للانحراف، وسبب غياب هذا النوع الأدبي في الأدب المعاصر. لذا تكمن الأهمية لأن مثل هذه الدراسات تدفع بالكتاب للتأليف حول الجريمة، وإثارة الرأي العام، وإبراز قضايا ذات الصلة بالجريمة.

الرواية/ السرد تعريفها

جاء في لسان العرب: "سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث أي جيد في الكلام، وسرد في القرآن أي تابع قراءته"[1]. يعرف "جيرالد برانس" السرد "حديث حقيقي أو خيالي أو أكثر يقوم بتوصيله واحد أو أثنين أو عدد من الرواة لواحد أو أثنين يكون للمسرد"[2]. فالسرد أي التتباع في الحديث والكلام.

يعد السرد علم كامل "علم السرد" مصطلح حديث النشأة ويرتبط بمعناه القديم الارتباط بالحكي، أي يراعي القاص الشكل والكلام ويتبع مبدأ إثارة المتعة الفنية للسامع، والمتلقي[3].نجد مصطفي صادق الرافعي يعرف السرد: "متابعة الكلام على الولاء، قد يراد به أيضا جودة سياق الحديث، وكأنه من الأضداد"[4].يعرف السرد "بول ريكور" "بأنه إحدى طرائق نقل الأفكار والقيم ووسيلة من وسائل دورانها فيما بين أفراد المجموعة الثقافية واللغوية الواحدة، وفيما بينهم وبين غيرهم"[5].أما "توما تشفسكي" فإنها يميز السرد في نمطين: "سرد موضوعي وذاتي، ففي الأول يكون الرواي مطلعا على كل شيء حتى كل ما يختلج داخل نفوس الشخصيات، وفي الثاني يتتبع الحكي من خلال عيني الراوي، وطرف مستمع يمتازان بتفسير الأخبار وطريقة معرفتها للراوي أو المستمع نفسه"[6] .من هذا المنطلق: "الرواية هي عبارة عن جنس سردي، وفي المستوى الثاني حكاية خيالية"[7]. فالقصص تتمتع بوجود ذاتي مستقل والسرد هي الطريقة التي يختارها الروائي ليقدم مجموعة من الأحداث، تمثلها شخصيات معينة في زمان ومكان ما[8]. والعمل السردي يكمن في تظافر الأحداث وصبها في قالب لغوي أنيق، ومن ثم تقديمها للقارئ، والسرد هو بمثابة الصوت والصورة في اللغة، وهو ما يجعل الرواية تتميز بشكل ونموذج خاص عن غيرها من الفنون الأخرى، ويجعلها في القمة من النصوص المكتوبة.ولقد اتفق كثير من النقاد أنَّ الرواية هي "شكل أدبي سردي يعمل على تقديم حكايته المكتوبة راوٍ هو في الغالب كاتب الرواية نفسه" من أجل ذلك نجدها مختلفة عن المسرحية، والرواية أطول من القصة وعدد شخصياتها أكثر وحقيقية. وبما أن الرواية كائن حي، يتطور يتقهقر وينمو، لذا نجده دائما يحتاج لدماء جديدة، خاصة الروايات البوليسية.

الرواية البوليسية تعريفها

يعرف قاموس روبير الرواية البوليسية بأنها: "من الأنواع الأدبية المثيرة للانتباه، واختصاصها كشف الأعمال الإجرامية، وهي حكاية تبدع البرهان في استبدال الرعب بالسكينة"[9].يوجد أدباء عرفوا الرواية البوليسية بأنها: "مجموعة حوادث مختلفة التأثير تمثلها عدة شخصيات على مسرح الحياة الواسعة، شاغلة وقتاً طويلا من الزمن"[10].القاموس الموسوعي يعرفها بأنها: "تبين عموماً الظروف الغامضة والدرامية لجريمة ما، ومغامرات المحقق التي تنتهي باكتشاف المجرم"[11].الرواية البوليسية تسعى لاجل تصوير آفاق التفكير العقلاني المنطقي للانسان لاجل حل الألغاز الغامضة وإيجاد حلول لها، الرواية البوليسية تتواجد في الحياة لاننا نفكر ولنا طريقة معينة للعمل والتفكير، والله اعطى الانسان حاسة الشم والتتبع. الرواية البوليسية تشترك في عنصر الجريمة حيث تكون على شكل لغز يحير القارئ

ويصعب عليه إيجاد حل للغز، ويحل اللغز رجل الشرطة، أو المحقق.أذن الرواية البوليسية تكشف المجرم والجريمة والاسباب التي ادت للحادث، وصلة المجرم والجريمة، وعلاقاتها بالواقع الاجرامي والمجرم وثيقة، وأهم عنصر للرواية البوليسية الجريمة لانها تعتمد على التحقيق وفك اللغز ومنح العدالة للمظلوم. وإنطلاقا من هذا المفهوم بصورة عامة نجد مجال الرواية البوليسية هي "فن الرواية البوليسية" في إطار خاص بها، لا يشارك في أي جنس سردي آخر. وعناصر الجوهرية للرواية البوليسية تجعلها من ضمن فن الرواية، والباحثين "بوالو ونرسجاك" يقولان: "الرواية البوليسية جنس أدبي، يتميز بجدية ثابتة، نظراً لما يحمله في طبيعته. ولذا لم يسجل أي تطور جوهري في هذا الجنس منذ""ادغار آلان بو"[12].وظهرت الرواية البوليسية نتاج رؤية الثقافة الغربية للعالم والكون؛ خاصة بعد الاكتشافات العلمية التي ساهمت بشكل اساسي في فصل الكون عن عالم ما وراء الطبيعة «الغيبي» فالأرض تدور حول الشمس وليست هي مركز الكون كما كانت الماورائيات الدينية تقول.. هذه الرؤية «الهندسية» متناقضة بشكل اساسي مع الرؤية العربية الثقافية للعالم والكون. فالثقافة العربية التي ورثناها هي ثقافة الشعر والقصيدة.كذلك تعتمد الرواية البوليسية على إحياء الغرائز الاساسية البشرية والتعامل معها كأمر مسلم به (بدون الاحالة الى الشيطان او ابليس كمحرك للشر في العالم) غريزة القتل.. وغريزة حب التملك.. فمعظم الروايات البوليسية تكون غريزة القتل فيها «سيكوباتية» متعلقة أيضاً بالجنس وبالفيتشيزم. اي «جنون» القاتل. ثقافة المبالغة والمغالاة واللا منطق في الأدب العربي «متى بلغ الوليد منا فطاما.. تخر له الجبابرة ساجدينا» او قول عنترة يصف السيوف في المعركة كأنها ثغر عبلة! هذا جميل وعاطفي شعرا .. لكنه لا يصمد امام المنطق البارد الذي يحكم الرواية البوليسية ولا هندستها العقلية.هنا يقف العقل العربي عاجزا امام هذه المتغيرات العلمية الحديثة والمتعلقة اساسا بالجنس وبميكانيزم الغرائز التي اشرت اليها. الأدب لايمكننا ان نفصله عن المجتمع، فيرى العطري (2006) "إن كل نص أدبي هو تجربة اجتماعية نفسية فردية متكاملة، والمجتمع يلقي بظلاله على سيرورة العملية الإبداعية من خلال بناء الحدث وفق هيكلة متكاملة من التفاعل المتباين بين الفرد وبيئته بجميع مكوناتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية"[13].نرى الشيبان يشير في دراسته "للارتباط الوثيق بين الجريمة والأدب، وأهمية تحليل السلوك داخل الأدب لاجل اكتشاف الحقيقة، واتضح بأن دراسة الأدب يساعد في الوصول للحقيقة ودوافع الجريمة داخل المجتمع، وتحليل شخصيات المجرمين وسلوكهم"[14].

لا تنسى ان الرواية العربية مشغولة حتى الآن باليومي السياسي العربي. بالصراع العربي الاسرائيلي. بالصراع الطبقي. وببعض السيرة الذاتية وكثير من الجنس؛ في محاولة للخروج من الأطر السابقة: اطر المهمشين والصراع السياسي والطبقي. والرواية البوليسية هي: إنتاج معرفي وحضاري واالذي يعبر عن علاقة الكائن العاقل المفكر، وعناصرها قديمة قدم الكتابة السردية.

أشكال السرد البوليسي

1. الرواية ذات اللغز، وهي النمط الأولي التقليدي أو الكلاسيكي للسرد البوليسي، وهي رواية لا تقدم لقارئها قصة واحدة بل قصتين: قصة الجريمة وقصة التحقيق؛ تروي الأولى ما حدث بالفعل (في الواقع المسرود)، وتروي الثانية كيفية إخبار القارئ أو الراوي بالجريمة التي بنيت عليها الرواية. لتصل أخيراً إلى حل اللغز الذي تنبني عليه الرواية وبحله تحل عقدتها الرئيسة سواء أكانت نهايتها المتعلقة بمصائر الشخصيات مفتوحة أم مغلقة. وهذا ما يسمى بالسرد المركب.
2. الرواية البوليسية السوداء: وهي رواية كلاسيكية النمط، لأنها تقوم على بنية سابقتها (الرواية ذات اللغز) حين تدمج قصتيها الرئيستين (قصة الجريمة وقصة التحقيق)، لكنها تلغي الأولى أو تسطحها وتحيي الثانية وتعمق أثرها، لأن التحقيق هنا هو المقود المخيالي للمغامرة البوليسية. ومن مصوغات وصفها بالسوداء؛ أن التحقيق في جرائمها يسير في الظل، والعمل الجاسوسي فيها تحت جنح الظلام، وخارج مواعيد المهام الرسمية بالنسبة للمحققين الذين عادة ما يمتزج تحقيقهم البوليسي بمشاكلهم الاجتماعية، ونموذج هذا الشكل: رواية «الحوت الأعمى» للكاتبين المغربيين، ميلودي حمدوشي، وعبد الإله الحمدوشي (1997) التي تتجلى فيها كافة ملامح الرواية السوداء. بمحمولاتها الشكلية في قصتيها الإطاريتين (الجريمة والتحقيق)، كما في محكياتها الضمنية: (الهواجس النفسية والخيبات الاجتماعية للمحقق والمطاردات الرسمية وغير الرسمية).
3. الرواية البوليسية النفسية: وهي رواية يتخندق السرد بها في زاوية الهاجس النفسي والحس المأساوي، والهوس المرضي أكثر منه في مدارات الحدث والتحري البوليسيين. ونموذجها العربي الأبرز: «اللص والكلاب» لنجيب محفوظ، إذ يعلن هذا النص عن نزوعه النفسي من خلال استغوار الهواجس الباطنية وطغيانها على كل تفاصيل النص التي بدت بلا معنى ما لم تتصل وتتغذى ولو بإطلالة على نفسية شخصيتها الرئيسة المدورة والانطوائية: سعيد مهران، البطل المتخبط في تناقضاته كأب ذليل وزوج فاشل، ومواطن شريد خائب، مهضوم الحقوق، ما قاده إلى التمرد عن القيم والقوانين حين انعدمت الحلول وأوصدت أمامه كل الأبواب.
4. الرواية البوليسية الاجتماعية: يتم تسليط الضوء في هذا النمط البوليسي على مآزق الحياة الشخصية سواء لرجال التحقيق والشرطة الذين نصفهم دوماً آباء وأزواجا فاشلين اجتماعياً وعاطفياً، شأنهم في ذلك شأن المجرمين الذين يكون تحديهم للقوانين وتمردهم على المجتمع ناجماً عن مرض أو صدمة أو انسداد أفق تسبب فيه هذا المجتمع نفسه، ونموذج هذا الشكل رواية» «نبضات آخر الليل» للجزائرية «نسيمة بولوفة»، وهي رواية اجتماعية أكثر منها بوليسية، حيث جاء

الخطاب البوليسي فيها خادماً للبعد الاجتماعي الذي حظي في النص بتبئير عميق جعل منه مجموعة من السير الذاتية لجملة من محققي الشرطة، عارضاً مشاكلهم الاجتماعية والعائلية الخاصة، ودخولهم كوسطاء في حل مشاكل اجتماعية لغيرهم من الشخصيات.

5. الرواية البوليسية الأسطورية: لعل أهم قفزة عرفها السرد البوليسي في تاريخه هي تلك التي دخل بها منعرج استثمار التراث الرمزي الميثولوجي، مما سمح بتحويل متسارع لروايات هذا الجنس السردي إلى أفلام سينمائية. ومما حفز على الانتقال من النص إلى الفيلم هو قيام هذا النوع من الرواية على مواد أولية تنتمي إلى التراث الرمزي والأسطوري العالمي، واستثمار مخزونات الأدب الشعبي للأمم. ومن أبرز مستثمري التراث الرمزي الأسطوري والثقافات والمعتقدات القديمة في السرد البوليسي العالمي، نذكر في بواكير هذا السرد: رواية «الميت الحي» المشهورة بـ«دراكولا» للكاتب الإيرلندي برام ستوكر (1847)، وصولاً إلى ما تبدعه أقلام هذ العصر في صورة ما يقدمه الروائي الأمريكي دان براون (1964) من روايات يتعالى فيها الأسطوري والرمزي عن البوليسي «شيفرة دافينشي، الرمز المفقود، الحصن الرقمي» والبرازيلي باولو كويلو (1947) في رواياته «الظاهر»، الخيميائي، الرابح يبقى وحيداً» وقد منحت هذه الثقافة الأسطورية للشكل البوليسي امتدادات تجريدية تتداخل فيها رموز الأدب الشعبي مع ميثولوجيا المعتقدات القديمة وخطابها الرمزي، وقد انتهلت الرواية البوليسية العربية من هذا المعين الرمزي والأسطوري للسرد البوليسي، وهو ما اشتغلت عليه رواية «سكرات نجمة» للجزائرية أمل بوشارب، التي غاصت في تعريج هذا النمط البوليسي، إلى درجة طغت فيها لغة الرمز الميثولوجي على لغة السرد. رغم أن هذا العمل كلاسيكي التأثيث وتقليدي الهيكل والمبنى من أول حدث جرائمي كلاسيكي إلى آخر حل كلاسيكي أيضاً عند كشف صاحب الجريمة كمنتهى لجميع العقد. وإن لم يجدد هذا النص من هيكل السرد البوليسي التقليدي فقد يحسب له على الأقل أنه منح بعداً رمزياً أسطورياً للسرد البوليسي العربي.

6. روايات التشويق: إذا كانت أنواع الروايات البوليسية تحتاج إلى كتمان سر العقدة حتى النهاية، حتى لا تضيع لذة القراءة على القارئ، (باستثناء النمط الصيني الذي يقلب مسار التحقيق، بدءاً من معرفة القاتل، وصولاً إلى وقوعه في قبضة العدالة)، فإن أشد أنواع الرواية البوليسية حاجة إلى هذا الكتمان هي روايات التشويق **Suspense**. فهذا النوع يحبس نفس القارئ، بما فيه من تسلسل مفاجآت وانقلاب مواقف. ولذا يحرص النقاد على عدم كشف العقدة في مقالاتهم، فيما يحرص

القارئ على عدم قراءة النقد عادة قبل قراءة الرواية نفسها. وقد صار معهوداً أن يلتزم كتم سر العقدة في الرواية المعلنون والأكاديميون في مقالاتهم، حماية لحق القارئ في شحنة التشويق التي تستحق له في قراءته. حتى أن مشاهدي فلم «شاهد ادعاء» (**Witness for the Prosecution**)، الذي ظهر سنة 1957م، نوشدوا في الإعلان بالفلم، ألا يبوحوا بسر العقدة، وهو مؤسس على قصة قصيرة ثم رواية «نحن المحلفين» لأغاثا كريستي، تدور أحداثها في قاعة محاكمة رجل متهم بالقتل، ولعب دور البطولة فيه تايرون باور ومارلين ديترتش وتشارلز لوتون، وأخرجه بيلي وايلدر.

7. أنواع أخرى: درج كذلك في الرواية البوليسية نوع يميل إلى جريمة القطارات، ففي القطار لا يعرف الناس أحدهم الآخر عادة، ويضفي هذا الأمر سمة غموض على أية جريمة تحدث على قطار. وكان أول محقق في جريمة قطار ثورب هازل، بطل رواية القس الإنجليزي فكتور وايتشيرش (1868 – 1933م). ثم كرّت السبحة. وتأتي في إطارها روايات الفانتازيا وهي تختص في قضايا القتل والإغتصاب، والدفاع عن الشرف، والسرقة، وظهرت في الغرب بعد الثورة الفرنسية عام 1789م.

وثمة روايات بوليسية أقبلت عليها كاتبات في أواخر القرن العشرين، واتسمت بمعالجة قصص الحوادث الغامضة، البعيدة عن العنف، مثل أسرار صناعة الغذاء والأسرار المهنية الأخرى والتجسُّس فيها، وغلب فيها أن يكون المحقق امرأة.لكن روايات الكُتَّاب الرجال جنحت في دُرْجَة جديدة، إلى روايات مجرمي القتل الجماعي المتسلسل، وكأنها تثأر من النوع البوليسي النسائي «السلمي» الخالي من فظائع العنف، بهذه الجرعة من العنف في أخبثه وأفظعه. وقد بدا للكتّاب ربما، أن هذا النمط من الرواية البوليسية يفيض نوعاً ما عن طاقة الشرطة الرسمية، ولا بد له من التحري الخاص، بتخفّيه وحنكته وتحرُّره من قيود الوظيفة الرسمية ودوامها. وكانت روايات من هذا النوع ظهرت في عشرينيات القرن العشرين، وكان «بطلها» مجرم مهووس بالقتل، هي رواية فيليب ماكدونالد (1900 – 1980م) «هرّ بأذناب كثيرة». غير أن رواية الجرائم المتسلسلة البوليسية لم تبلغ أشد الإقبال عليها إلا بعدما ظهرت في المحافل الأدبية عبارة: **Serial Killer** القاتل المتسلسل)، في سبعينيات القرن العشرين، ولا سيما عند نشر رواية: «صمت الحملان» سنة 1988م. وهي رواية للأمريكي توماس هاريس، وظهرت في فلم، أخرجه جوناثان ديم، ومثّل أدوار البطولة فيه جودي فوستر وأنطوني هوبكنز، ونال الفلم جوائز أوسكار. ولعل ما في عبارة «القاتل المتسلسل» من عنصر غموض ورعب، هو الذي اجتذب محبي النوع، الذين يعشقون ذلك الإحساس فيما يقرأون ويشاهدون.

اختراق مأمول

رغم إكراهات المواءمة والتجنيس إلا أن إمكانية اختراق هذا النمط السردي وتأسيس بدائل فنية تتجاوز حدوده من طرف بعض الأقلام العربية الصاعدة تبقى مأمولة نحو صناعة نموذج لرواية

بوليسية نوعية بخصوصيات عربية تتحرر على شاكلتها من سياج الموروث الكلاسيكي وتطرح متغيراتها مكان ثوابته الفنية وثقافته المرجعية. ولو تأملنا وضعنا العربي لوجدنا بأنه يمتلك كل المؤهلات التي بقيت خاماً جامداً، خاصة في أعقاب الهزات العنيفة التي تعرضت لها بعض الأنظمة التي أضحت سياساتها ومخططاتها الأمنية مكشوفة السواتر حين اكتسحتها فتوحات عالم افتراضي فضح الجميع، وهو ما أسفر عن ظهور بوادر أشكال- سردية فوق بوليسية، في صورة «رواية المجتمعات السرية»، وهو نمط قيد التشكل، بدأت تهندسه أقلام شبابية واعدة، في صورة الكاتب التونسي كمال الرياحي «عشيقات النذل»، والجزائري عبد القادر ضيف الله، في روايته «زنزيبار» وغيرهما من الذوائق الشبابية الصاعدة التي تبشر باختطاط مسارات مستجدة ثيمياً ومورفولوجياً للسرد العربي الواعي بمرجعياته، والمتجاوز للنمطي من الأشكال الوافدة.

الرواية البوليسية عند العرب

أصل نشأة الرواية العربية اختلف فيه الأدباء البعض يرى الجنس الأدبي كان موجوداً ودليلهم "ملاحم عنترة"، و"سيف بن ذي يزن" وغيرها من الروايات. والبعض يرجح دخولها واستيرادها من الغرب للعرب. وعلى سبيل المثال، نجد في أخبار كتاب الاغاني فن الروائية البوليسية و كتاب الأذكياء لأبن الجوزي، أو الفرج الاصفهاني[15] (مالتي دوجلاس، ١٩٨٨)، أو محاكمة ديتنا في كليلة ودمنا..إلخ. ناهيك عن بعض القصص في قصص الف ليلة وليلة التي تمثل الجريمة، فيجرى فيها تحقيق وعقاب ولو بشكل بدائي، لا يبدو أن هذه القصص تطورت إلى نوع معين. في الأدب العربي الحديث، وهناك الكثير من الأعمال التي تتناول القضايا الجنائية، والتساؤل عن دوافع الجريمة، أو ملاحقة الجاني. بيد أن التحقيق في المسائل القانونية والاستنباط وكذلك التحقيق القضائي يكاد يكون غائبا في الأدب العربي الحديث.البعض يرى أن ظهور المطبعة، ادى لشيوع فن القص والرواية في الأدب العربي[16]، ويرجح البعض أن أدباء المهجر لعبوا دوراً في تطوير هذا اللون الأدبي ودليلهم على ذلك رواية "جبران خليل جبران" "عرائس المروج" و"الأرواح المتمردة" وبعض روايات سليم البستاني وجورجي زيدان وغيرهم، لكن البعض انتقد أعمالهم بإدعاء أنها لم تلبس اللباس الشرعي للرواية. وإذا سلمنا أن فن الرواية البوليسية هي وليدة الحضارة الصناعية، ويجمع الباحثون أن مؤسس الرواية البوليسية هو: "إدغار ألان بو Edgar Allan POE" وأن عمرها لا يتجاوز أكثر من قرنين"[17]. وأخذ المؤلف فولتير فكرة الرواية البوليسية من مؤلف عربي، حسب ما يؤكده "ف.لوكسان" يقول: "وكما نعلم فإن فولتير ساتلهم فكر زاديك من مؤلف عربي يتضمن أسطورة الأمراء الثلاثة لسرنديب"[18]. ونعتقد أن أصول الرواية البوليسية تعود للأساطير العربية والفلكلور السلتيكي والكتابات المقدسة. ظهرت الرواية بسبب عاملين هما الصحافة والترجمة، ويرى الناقد "مصطفى عبد الغني" أن ظهور الرواية في الوطن العربي ارتبط بعاملين: ""أحدهما أثر كل من مصر ولبنان في نشأة هذا الجنس الأدبي، سواء في درج التأثر بالغرب أو التأثير في الأقطار العربية، أما العامل الآخر فهو أن تطور هذا الفن الروائي ارتبط في ظهوره بتطور الاتجاه القومي العربي"[19]. وظهور الرواية البوليسية في البلاد العربية في ملامحها الواضحة الناضجة

جاءت في مراحل متأخرة حسب حليفي: "ففي بداية الستينيات من القرن الماضي ظهرت نماذج من القصة البوليسية لكنها اختفت مرة أخرى وتحولت من النص البوليسي لتطرح القضايا الاجتماعية"[20].الساروري يتطرق لوضع الرواية البوليسية في الوطن العربية قائلاً: "أن إنتاجها متعثر وشبه منعدم بسبب عمليات الترجمة الضخمة للإنتاج البوليسي الغربي الذي تسبب باكتفاء للقارئ العربي كما أن الحكومات جعلت الكاتب العربي في حالة خوف من الكتابة عن قصور السلطة في تتبع الجريمة، والذي أدى لقلة الأنتاج"[21]. نجد بعض الروايات البوليسية الشهيرة لكتاب عرب مثل: اللص والكلاب لنجيب محفوظ، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضيك لعمارة لخوص، رواية الشيء الآخر لغسان كنفاني، الحوت الأعمى لميلودي حمدوشي وعبد الإله الحمدوشي.والرواية البوليسية تعتبر أدباً مهمشاً والانتاج فيه قليل، ولكن هدفه الترفيه، ولكنها بسطت نفوذها واستقطبت الكثير من الجمهور والقراء وجذبت اهتمامهم.

فن الرواية البوليسية عند نجيب محفوظ

نجيب محفوظ الاديب الذي ارضى القدماء والمحدثين من الأدباء، فقد غدا مؤسسة أدبية مستقرة تشبه المؤسسات الشامخة ووجد الاعتراف الرسمي لاعماله، اجمع الأدباء على أن أدب نجيب محفوظ أدب متفرد استطاع أن ينتقل بالرواية العربية لقلب القاري العربي[22] .يقول رجاء النقاشي: ".. كانت أول جائزة نالها هي جائزة صغيرة من وزارة المعارف المصرية في الأربعينيات، وآخر جائزة نالها هي نوبيل 1988م وهذا المشوار ممتد عبر التاريخ"[23]. وفوزه بجائزة نوبل أثار الاهتمام باعماله في البلاد الأوربية وغيرها مما أدى لترجمة أعماله للغات الأجنبية. النقاد يرون أن الرواية لدى نجيب محفوظ مرت بثلاث مراحل، الأولى كانت التاريخية ثم الاجتماعية، والاخيرة الفلسفية[24]. الاختلاف في المراحل الثلاثة هي: اللغة "فنجد في التاريخية لغة رصينة قوية، احتوت على روايات تاريخية، ولغة راقية، والأعمال الاجتماعية فنجد نجيب محفوظ يستخدم اللغة الواقعية وتحرر من دافعين كانا يقفان امام القراء التكلف و اللغة الفخمة. ومن ناحية الشخصيات فنجد شخصيات الروايات التاريخية يحاول نجيب محفوظ تقديم شخصيات حية للقاري، اما شخصيات روايات الاجتماعية فنجده متحررة حيث يشعر القارئ بأنها تملك قدرة التغلل في نفس القارئ، وهي أكثر التصاقا بالواقع، ومن ناحية المكان فنجد روايات نجيب تأخذ عنوان الرواية لاماكن واحياء شعبية. لأن المكان يمثل عنصراً مهما لا يقل أهميته عن بقية العناصر التي تشكل العمل الروائي، ونجد المكان في رواياته يعطي مفهوم الواقعية، ويصف نجيب محفوظ المكان بطريقة تجعل القارئ يعرف تفاصيل المكان بدقة. وكان نجيب محفوظ دائما يلح في تحديد الأطر المكانية في رواياته، حيث يختار المدن والاماكن الريفية[25]. والزمن فنرى التزامن في الاحداث وهي: زمن الرواية، زمن الكتابة السردية، زمن القراءة. ويظهر الزمن في رواياته واضحا، ويحافظ على التسلسل الزمني داخل رواياته.

رواية اللص والكلاب

رواية "اللص والكلاب" تقع في المرحلة الذهبية من الانتاج الفني عند نجيب محفوظ حيث كتبها عام 1961م وكان الشعب المصري مشغولا بأحداث وقعت عام 1960 التي دوخت البوليس (الشرطة) وهي التحقيق في جرائم التي ارتكبها سفاح الإسكندرية "محمود أمين سليمان"[26]. كانت رواية اللص والكلاب تمثل نقطة تحول في أعمال نجيب محفوظ من التاريخية للفن البوليسي. فكانت الرواية تعبير عن المجتمع في تحولاته واتجاهاته وتتجلى فيها العلاقة بين الرواية والمجتمع وهي تعتبر الترجمة الفعلية لواقع المصري والعربي[27].تحكي رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ قصة شاب مصري اسمه سعيد مهران ومن خلال واقعه فئات استبد بها البؤس في مجتمع مابعد ثورة الضباط الأحرار .ولد سعيد في أسرة فقيرة ، أبوه كان بوابا لعمارة يقطنها عدد من الطلبة الجامعيين، توفي الأب فأورث الابن المهنة وماتدره من فقر وحرمان..اضطر إلى امتهان السرقة حسبانا منه أنها الحل الأوحد لانتصار قانون العدل الفردي – وذاك ما أقنعه به رؤوف علوان الطالب الريفي المتشبع بقيم الثورة والممتلئ غيظا على أولئك الذين استفردوا بثروة البلد دون وجه حق- فكون ثروة وصار له أتباع، ثم تزوج نبوية الفتاة الريفية التي أحبها ، والتي تآمرت عليه فيما بعد مع عليش، ليدخل السجن. بعد الإفراج عنه ،يبدأ مشروعه الانتقامي من الخونة (الزوجة وعليش ورؤوف علوان)، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل ، فالرصاصات التي أطلقها كانت تعود عليه فتقتل أناسا أبرياء من جنس طبقته. تستمر السلطة في مطاردة سعيد مهران إلى أن تتم محاصرته ثم استسلامه.وراية اللص والكلاب من روايات المآسي والظلم والبحث عن العدالة الاجتماعية، في مجتمع انتشر فيه الشر والفسساد، حيث أن سعيد لم يكن لصاً بل لأجل أخذ الانتقام حمل السلاح وأخذ بكلام صديقه رؤوف: "إن المسدس يتكفل بالمضي، والكتاب بالمستقبل"، فصور نجيب المجتمع الظالم وشخصية سعيد بالشخص المضطهد المنتقم من زوجته وصديقه رؤوف ومن عليش كل الذين خانوه.سميت الرواية باسم: "اللص والكلاب"، حيث يرمز باللّص إلى "سعيد" الذي يناقض اسمه ، ويعد تعيسا حيث أنه كان يواجه مشاكل كبيرة في حياته، و"الكلاب" عبارة عن المجتمع، حيث رؤوف لم يكن عطوفاً بل الشخص الذي زرع المبادئ في نفس سعيد ثم تخلّى عنه في النهاية ، و نور لم تكن نوراً في حياة سعيد بل كانت فتاة ليل.الحبكة: وهي تتمثل في الإجابة على الأسئلة التالية: من فعل؟ وماذا فعل؟ ولماذا؟ وأين حدث؟ ولماذا حدث؟ ومتى؟... وغيرها، فكل حدث فيها يؤدي إلى حدث آخر وهكذا تقوم الأحداث على مجموعة من الأسباب، فالخيانة التي تعرض لها سعيد دفعته للانتقام

الرواية مبنية على فكرة الانتقام التي يسعى لها البطل من بداية الرواية حتى نهايتها، حيث أنه تعرض للخيانة، فكانت خيانة الزوجة: "حيث أنها طلبت الطلاق للتزوج من عليش"خيانة عليش: "يتوج من زوجته وسطو على أملاكه". ثم خيانة رؤوف علوان: "لقد نسى تنكره عن المبادئ السامية، حيث امتلك الثروة عن طريق الخيانة" عندما ذهب سعيد إلى بيت رؤوف علوان استضافه لكن تعابير وجه كانت تظهر بأنه لا يرغب في مقابلته لانه أصبح من الفئة العليا. وكل هذه الخيانات أثرت في شخصية سعيد وخلقت الكثير من الكوارث والمشاكل له.

الحوار

الحوار كان له نوعين: حوار داخلي وخارجي، مع هيمنة الداخلي على الخارجي بسبب الرغبة في كشف العالم الجواني لسعيد وإضاءة ما في نفسه من السخط والغضب والإصرار على الانتقام من الاعداء الذين تسببوا في معاناته.

الزمان

كان في الرواية زمنان؛ الماضي والحاضر فنجد الماضي مليئ بالحب في واقع فقير، ام الغني كان مليء بالخيانة، والمبادئ الزائفة والتطلع للأنانية، الماضي كان ماضي سعيد (البطل) والذين يحيطون به، والحاضر زمن الانتقام من الظالمين وربط الرواية بين الزمنين بالجسر بتقنية الاسترجاع للذكريات التي نفخت في النفس بالغيض والانتقام.

البعد الاجتماعي

صور الكاتب نجيب محفوظ في الرواية المجتمع الذي كثرت فيه الخيانات والجهل والظروف السلبية والفقر والمرض والفساد وهي التي كانت السبب الرئيسي في خلق مجتمع فاسد ومنحرف، والحرمان والفقر قاد حياة البطل سعيد للكراهية والحقد والاضطهاد حوله لشخص يصارع المشاعر المأساوية حتى أصبح قاتلاً. التفاوت الطبقي: صور الكاتب المجتمع الذي يتجاور فيه الغني الفاحش على الفقير، لم تكن تتوفر العدالة الاجتماعية.صراع القيم: بما أن المجتمع كان متفاوت في الطبقات فلابد توجد فيه قيم متضاربه فيما بعضها البعض، قيم العدل والحرية والحب والوفاء والخيانة...الخ.هكذا يبدو واضحا أن رواية اللص والكلاب رواية نقدية تنتقد وبشدة الواقع الاجتماعي الذي أفرزته الثورة والذي عمق من معاناة الطبقة الفقيرة وزاد من همومها إلى درجة أن أسرا كثيرة قد تفككت علاقاتها نتيجة الفقر والحاجة.

شخصيات الرواية

سعيد مهران : شاب مصري فقير، متوسط الثقافة –حرم من متابعة دراسته الجامعية بسبب ضيق اليد، ممتهن السرقة، هو بطل الرواية ومحور أحداثها، تعرض لخيانات عدة من طرف أقرب الناس إليه ، زوجته وصديقه وأستاذه رؤوف علوان، دخل السجن بسبب من وشاية زوجته وصديقه، طورد وحوصر حين محاولاته الانتقام حتى استسلامه-نبوية : زوجة سعيد وأم ابنته، شابة ريفية فقيرة كانت تشتغل عند سيدة تركية ، تآمرت على سعيد وغدرت به، رغم الحب الذي خصها به. فكانت بذلك عنوانا للخيانة في النص

- عليش : صديق سعيد وتابعه ، هو أيضا شاب مصري فقير ، تملق سعيد وأظهر له إخلاصا كاذبا، ثم تآمر عليه، ليحل محله .يصف سعيد علاقته به قائلا :" كنت البطل وكنت عابد البطل يحبني ويتملقني ويتجنب غضبي ويلتقط فتات العيش من كدي وشطارتي"ص 74-75 من الرواية.

- رؤوف علوان: طالب ريفي ، ثم كاتب صحفي شهير، نموذج المثقف الانتهازي الذي يميل حيث تميل مصالحه إنه الحقيقة العارية والجثة العفنة التي لايواريها تراب، يصفه سعيد مهران.

-نور: فتاة ليل، ضحية واقع مأزوم، أحبت سعيد وأخلصت لحبه ، ظلت إلى جنبه حتى اللحظة الأخيرة ، كانت سندا له في عز محنته، لعبت دورا مهما في الدفع بأحداث النص، وفي إنفاذ دعواه.

- الشيخ علي الجنيدي: صوفي منقطع لعلاقته بالسماء، صديق عم مهران والد سعيد، تعرف إليه الأخير حين كان طفلا يصحبه والده إلى المحاضرات التي كانت تقام بزاويته.

- المعلم طرزان: صاحب مقهى ، انسان شهم ، آزر سعيد ، وظل وفيا لصداقته

إلى جانب هذه القوى الإنسانية تحضر قوى أخرى كان لها إسهام دال في تشكل و تطور أحداث الرواية (الخيانة ، الصحافة، الأمن ...)

تفاعل الشخصيات فيما بينهما

نجد الكاتب يستعمل ما يمكن بستميته بالرمز العفوي في الإشارة للتفاعل العميق الذي حدث بين أهم شخصيتين "رؤوف علوان وسعيد مهران" والتفاعل كان عبر فكرة سرقة الأغنياء و أيضاً كان عبر كتب يعيرها، رؤوف كان مثقف ثائر، وهذه الأحداث لا يمكن أن تكون سوى صياغة تقريرية "وحدي مع الحرية ثم يعاني ويلات الهزيمة"[28]، العلاقة بين سعيد وابنته سناء هي علاقة الأبوة، والعلاقة سعيد وعليش علاقة صداقة. ام نبوية وسعيد فإن العلاقة الزوجية قد تحولت للخيانة.

البعد المكاني: المكان

المكان الذي تجري فيه أحداث الرواية كان كالتالي:

السجن: تفتتح به الرواية، يغادره سعيد مهران بعد ان قضى به أربع سنوات، هو فضاء عزلة وحصار فيه يفقد الإنسان حريته.

حي الدراسة: يقيم الشيخ علي الجنيدي المتصوف صديق والده، يتميز هذا المكان بالسكينة والاطمئنان والعزلة عن العالم، كما أنه مأوى لا يغلق أبدا، يلجأ إليه البطل في لحظات الشدة لكنه لا يشعره بالراحة، لأن رؤيته تختلف عن رؤية الشيخ.

فيلا رؤوف علوان: العهد والحياة الجديدة ويتميز بشعار الانتهازية والارتداد عن المواقف.

الملخص

تعد الرواية البوليسية من إحدى أنواع الرواية في الأدب العربي الحديث، بالرغم من تهميش هذا النوع الأدبي لكن هناك بعض من الانتاجات الأدبية حيث زهدت الدراسات الأدبية في هذا الصنف، في هذه المقالة نسعى لتعريف القارئ بالرواية البوليسية وتقديم موجز عنها ومناقشة العوامل التي ادت لظهورها في الادب العربي، وكيفية صياغة السردية في هذا الصنف الأدبي، بالإضافة إلى دراسة الرواية البوليسية اللص والكلاب.

الخاتمة و النتائج

لقد أسهم الروائي نجيب محفوظ في إثراء الأدب العربي بالرويات ذات الميزات الفنية وميلة للرمز والرمزية، ومن منطلق ادب الجريمة يعكس التركيبة النفسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع

حيث أنها تصور مجتمع بها مجال للانحراف والجريمة. بالرغم من أن الأدب البوليسي مهمش لكن هدفه الإثارة والترفيه معاً، وقد بسطت الرواية البوليسية نفوذها بجدب القراء والمتابعين لتفاصيلها. وتعد الرواية من الاعمال الممتازة التي صورت مشاكل الإنسانية في مجتمع يسود بالعبودية. وقدم البحث الجوانب النظرية المساهمة في فتح آفاق امام القارئ والدارس في حاضر ومستقبل الأدب البوليسي. كانت رؤية الروائي تنطلق من تصوير مظاهر دينية واجتماعية في مجتمع الرواية وهو المجتمع المصري. وأهم قضية تناولتها الرواية "اللص والكلاب" قضية الجريمة والانتقام والثأر عند المظلوم.وأهم النتائج التي توصل اليها البحث هي:

- إغفال التفاصيل المهمة في رواية الجريمة، والتي تؤدي لإضعاف الشكل المطروح، ولذا لم يتسم الحل بالموضوعية والمنطق.
- الرواية فيها حس بوليسي وذلك ما توصل اليه البحث من عرض الأحداث وتحليل الشخصيات.
- الكاتب قام بتجسيد شخصية سعيد الفقير واليتيم الذي كان مطاوع لصديقه رؤوف بدون أن أي تفكير بالله ولا بعواقب الانحراف والسرقة.

التوصيات

- هناك نقص واضح في دراسات الأدب البوليسي والجاسوسي والحاجة لإجراء بحوث تركز على نص الجريمة والكشف عن أهم العوامل المؤدية لظهور الجريمة في المجتمع.
- دعم الأبحاث في الرواية البوليسية لانها تدرس ظواهر المجتمع وهي تعتبر مكملة للدراسات الميدانية التي تجرى في مجال الجريمة والانحراف.
- يجب تأليف روايات في ظاهرة الجريمة بالمجتمع لاجل كبح جماح الانحراف.

References

[1]Abu Alfadl Jalal Aldiyn bin Makram bin Manzurin, Lisan Alearbi, (mada (sarda) dar almaearifi, bayrut, Ed1, 1997). P.80

[2]Jirald Bransi, Qamus Alsardiati, (tarjamat alsayid 'amam, mirith lilnashr walmaelumati, alqahirati, Ed1, 2003), P 124.

[3]Nuqlat Hasan 'Ahmad Aleazi: Tiqniaat a lisard Waliat Tashkilih Alfani, (Dar ghida', Al'urduni, Ed1, 2011), P 15

[4]Mustafa Sadiq Al-Rafa'i, History of Arab Literatures, (Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon, Volume 2, 2nd Edition, 1974), p. 297

[5]Bul Rikur, Alwujud Walzaman Walsarda, (Tarjamat Saeid Alghanami, Almarkaz Althaqafiu Alearabii, Aldaar Albayda', 1999), P31

[6] Tuma Tshifiski, Nazariat Almanhaj Alshakli, (Nusus Alshaklaniiyn Alruwsi, Tarjamatu:'Iibrahim Alkhatib, Muasasat Al'abhath Alearabiati, Ed1, 1982 AD), P189

[7] Eabd Almalik Murtadi, fi nazariat alriwayati, (Dar homa, Aleria, Ed15, 2008), P 87

[8] David Lodge, Narrative Art, (translated by Maher Al-Batouti), p 24.

[9] Le petit Robert I: Dictionary de la langue francaise, (Paris, France 1992), p 1475

[10] Ahmed Abu Saad, The Art of the Story, (Dar Al-Sharq Al-Jadida Publications, Part I, 1959), p. 25.
[11] Dictionaire Hachette Encyclopedique, (Paris France , Edition 2000), P 1484
[12] Boileau Narcejac, Le Roman Policier, P21
[13] Al-Otari, Abd al-Rahim 2006, Introduction to the Psychology of Literature, (Al-Hiwar Al-Madden Electronic Journal No). 1716
[14] AlShiban, A.S. (2012) Exploring Criminology in Literary Text http://journals.yu.edu.jo/jjmll/Issues/Vo5No1_2013PDF/Nom4.pdf.
[15] Malti-Douglas, Fedwa. The Classical Arabic Detective. (Arabica 35(1) 1988 P 59–91.
[16] Jaber Asfour, Translation and the Rise of the Arabic Novel, Issue 498, Kuwait, May 2000, p. 77
[17] Edgar Allan Poe: Laying the foundations of the short story, (the true founder of the detective novel, Beuston was born on January 19, 1809 AD).
[18] We note the number of princes in the legend of Serend changes when it is transferred from one culture to another, while Francis Laxan mentions "The Mythologie du roman policier" three princes and in some we find four
[19] The novel, Wikipedia, the free encyclopedia ((http://ar.wikipedia.org/wiki/) 25/5/2020 at 11:00
[20] Halifi, Shuaib, (2010) The Arab Police Novel, Fosoul Magazine, Issue (76), Cairo
[21] Al-Sauri, Bouchaib (2010) The Arab Police Novel, Fosoul magazine. Cairo
[22] Jaber Asfour, Critics of Naguib Mahfouz, (Library of Egypt, Cairo, 1992), p. 246
[23]Raja Naqash, In love with Naguib Mahfouz, p 16
[24] Mahmoud Amin Al-Alam, Reflections on the World of Naguib Mahfouz, (Dar Al-Adab, Beirut, 1970), p. 21
[25] Muhammad al-Sibai, Psychological Analysis of the Novel by Naguib Mahfouz as a Model, (Dar Al Homa Algeria, 2009), p. 33
[26] Meriden's Instinct: The Story and the Novel, Dar Al-Fikr, Damascus, (Diwan of University Publications, Central Square, Ben Aknoun, Algeria, 1979), p. 29
[27] Dr. Faisal Darrag: The Theory of the Novel and the Contemporary Arab Novel, (The Arab Cultural Center, Casablanca, Beirut, I, 1991), p. 42
[28] Aziz Abadah: The Story and the Novel, (Dar Al-Awda, Beirut, I, 1980), p. 20